

المجلد: 06 / العدد: 01 جوان (2022)، ص 107/99

الخطاب اللغوي: من التفكير الفلسفي إلى التحليل العلمي.

Linguistic Discourse: from Philosophical Thinking to Scientific Analysis.

د. بن جلول مختار

mokhtar.bendjelloul@univ-tiaret.dz

جامعة ابن خلدون تيارت

مخبر الدراسات النحوية واللغوية بين التراث والحداثة في الجزائر.
(الجزائر)

تاريخ النشر: 2022/06/02

تاريخ القبول: 2022/02/15

تاريخ الاستلام: 2022/01/02

د. مصابيح العربي*

larbi.Messabih@univ-tiaret.dz

جامعة ابن خلدون، تيارت

مخبر الدراسات النحوية واللغوية بين التراث والحداثة في الجزائر.
(الجزائر)

الملخص:

يهدف هذا المقال إلى تسليط الضوء على مصطلح الخطاب الذي عُرف بكونه الكشف عن الطرق الممكنة للإقناع في أي موضوع كان في الثقافة اليونانية القديمة، وكيف كان الناس يستعملون الخطاب للدفاع عن أنفسهم وكيف تحوّل في العصر الحديث إلى موضوع قابل للدراسة والتحليل خاصة مع ظهور المناهج النقدية الحديثة التي كان لها الأثر البارز في الانتقال بمصطلح الخطاب من طبيعته الفلسفية إلى التفكير المنهجي المبني على التحليل العلمي. وقد توّصل هذا البحث إلى أنّ المنشغلين بمحقل تحليل الخطاب قد توّصلوا إلى وضع الآليات والاستراتيجيات العلمية التي يتمّ من خلالها تحديد مضمون الخطاب، تبعاً لعلاقة المرسل بالمرسل إليه والمكانة الاجتماعية لكلّ منهما. الكلمات المفتاحية: الخطاب، التفكير، الفلسفة، العلم، التحليل، المنهج، الإستراتيجية.

Abstract:

This article aims to shed light on the term discourse, which was known as revealing the possible ways of persuasion on any subject in ancient Greek culture. Besides, how people used discourse to defend themselves and how it has turned in the modern era into a subject propitious to study and analysis, especially with the emergence of critical approaches. It had a prominent impact in moving the term discourse from its philosophical nature to systematic thinking based on scientific analysis. This research has concluded that those engaged in the field of discourse analysis have developed scientific mechanisms and strategies through which the

*- المؤلف المرسل

discourse content is determined, depending on the sender's relationship with the addressee, and the social status of each.

Keywords: *Discourse, thinking, philosophy, science, analysis, method, strategy.*

مقدمة:

يُعدُّ مصطلح الخطاب من المصطلحات التي شغلت بال العلماء والباحثين قديماً وحديثاً، إذ ما من أمةٍ إلا وكان لعلمائها انشغال كبير بمفهوم الخطاب عاقمةً وخصائصه الفنية خاصّة، كما يُعدُّ كذلك من بين المصطلحات الأكثر تعقيداً نظراً لتداخله مع مصطلح النص، إذ يُعتبر كل واحد منهما وحدة لغوية قابلة للتحليل والدراسة، وهذا التعقيد موجود في الثقافتين، الغربية والعربية على حد سواء، وما زال هذا التداخل قائماً إلى حد الآن، إذ لم يستطع الباحثون من تحديد دقيق ومضبوط لهذا المصطلح بالرغم من كثرة الأبحاث والدراسات التي تناولت الخطاب بالشرح والتحليل والتفسير، غير أنّه بالرغم من صعوبة تحديد تعريف جامع مانع لمصطلح الخطاب إلا أنّه ظهرت هناك عدة اتجاهات ومقاربات تُعنى بدراسة وتحليل مختلف الخطابات بمختلف فروعها، كما أنّه توجد هناك العديد من المدارس التي انبرى أصحابها إلى وضع مناهج علمية في تحليل الخطاب بما يُقضي عليه الصبغة العلمية وإخراجه من دائرة التلفظ العادي الذي يهدف إلى إقامة تواصل بين المرسل والمتلقي إلى البحث عن مكوّناته اللغوية، وفك شفراته الداخلية، والبحث عن العلاقات التي تربط بين وحداته وانظماها.

يتناول هذا البحث قضية الخطاب بين الدراسات القديمة والحديثة، حيث يُركِّز على المنطلقات الفلسفية للخطاب والنظر إليه على أنّه وسيلة للإقناع يُكثر فيه الخطيب من الصور البلاغية لجذب الانتباه وحث النفوس على الإذعان له، وبين رؤية المحدثين للخطاب على أنّه مراجعة الكلام بين المتخاطبين منظوراً إليه بأنّه ينطوي على آليات واستراتيجيات مختلفة يتحدّد من خلالها هدف الخطاب، وهذا يدفعنا إلى طرح الإشكالية التالية:

على ماذا يدلُّ مفهوم الخطاب؟ وكيف كان الخطاب عند القدماء؟ وكيف تغيّرت نظرة المحدثين إلى الخطاب من خلال المناهج النقدية الحديثة؟
وقد اتجهنا المنهجين التاريخي والوصفي في بحثنا هذا نظراً لتناسبها مع موضوع البحث.

مفهوم الخطاب:

عُرِفَ الخطاب بتعاريف عديدة تبعا لثقافة وايدولوجية كل دارس أو باحث، فقد أُطلق عليه مصطلح الخطاب، والكلام، والحديث، والنص، وغيرها من المصطلحات، ولهذا سنقوم بتعريفه في اللغة والاصطلاح.

أ-التعريف اللغوي:

يدلُّ لفظ الخطاب في المعاجم العربية على مراجعة الكلام بين المتخاطبين، كما يدلُّ كذلك على سبب الأمر سواء عسر أو يسر، فقد جاء في معجم تهذيب اللغة للأزهريّ قوله: "حَطَبٌ: قال الليث: الحَطْبُ سبب الأمر، تقول ما حَطْبُك؟ أي: ما أمرك؟ وتقول: هذا خطب جليل وخطب يسير، وجمعه خطوب، والحَطْبَةُ مصدر الخطيب، وهو يَحْطُبُ المرأة، ويَحْطِبُها حَطْبَةً وحَطِيبِي، والحَطْبَةُ مثل الرسالة التي لها أول وآخر، وقال الليث: الحَطْبُ: مراجعة الكلام، وجمع الخطيب خطباء وجمع خاطب حُطَابٌ"⁽¹⁾.

وجاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس أنّ لفظ حَطَبٌ أصلان في اللغة حيث قال: "حَطَبٌ (حَطَبٌ) الحاء والطاء والباء أصلان، أحدهما الكلام بين اثنين، يقال خاطبه يخاطبه خطاباً، والحَطْبَةُ من ذلك، وفي النكاح الطلب أن يَرْوِّجَ، والحَطْبَةُ: الكلام المخطوب به، والحَطْبُ: الأمر يقع، وإثماً سُمِّيَ بذلك لما يقع فيه من التخاطب والمراجعة، وأما الأصل الآخر فاختلاف لونين"⁽²⁾.

من خلال ما جاء في المعاجم العربية نلاحظ أنّ لفظة الخطاب تدلُّ على معنى مراجعة الكلام بين اثنين أو أكثر، وتدلُّ على الكلام، كما تدلُّ كذلك على خطبة النساء، غير أنّ هناك معنى آخر تدلُّ عليه هذه اللفظة وهي اختلاف اللونين كما جاء عن ابن فارس، وكانَّ الكلام بين المتكلمين يأخذ ألواناً وأشكالاً مختلفة.

وقد نشأت الخطابة شأنها شأن الجدل منذ السفسطائيين في الحضارة اليونانية القديمة، يقول أرسطو في هذا الشأن: "الخطابة تناسب الجدل، لأن كليهما يتناول أموراً تدخل على نحو ما- في نطاق معرفة الناس جميعاً، وليس مقصورين على علم خاص بعينه، ولهذا فإن الناس جميعاً يشاركون بدرجات متفاوتة- في كليهما، لأنهم جميعاً، إلى حد ما، يحاولون نقد قول أو تأييده، والدفاع عن أنفسهم أو الشكوى من الآخرين، وغالبيتهم يفعلون ذلك إما حينما اتفق، أو عن ممارسة ناشئة عن العادة"⁽¹⁰⁾.

يقول الدكتور الزواوي بغورة عن الطبيعة الفلسفية للخطاب: "والخطاب جانبه الفلسفي فمن المعروف أن الخطاب هو ما يظهره الكلام، وقد انحصر الخطاب وذلك منذ السفسطائيين وسقراط في حدود المعنى، وأصبحت مهمته تكمن في: تخليص المعنى مما هو ظني ونسبي ومتغير، لأن طبيعته عقلية (لوقوس)، فنكون إزاء حقل أو فضاء لا يقدم نفسه على أنه ثابت وكلي فحسب بقدر ما يقدم نفسه على أنه (ثقي) و(ذو معنى)"⁽¹¹⁾.

غير أن لفظة الخطاب في الدراسات الغربية القديمة ليس لها نفس مدلول كلمة خطاب في اللغة العربية، إذ "يفيد الأصل اللاتيني لكلمة الخطاب (discururio)، الجري هنا وهناك، كما يشير إلى الجدل (dialectique)، والعقل أو النظام (logos)"⁽¹²⁾.

ونلاحظ من خلال هذا التّصّ أن أصل لفظة الخطاب في اللاتينية ليس لها أية علاقة باللغة سواء كانت منطوقة أو مكتوبة، يقول عبد السلام حير: "لم تأخذ (Discursus) معنى الخطاب إلا في آخر العهد اللاتيني حيث أخذت تدل على الحديث والمقابلة، قبل أن تحيل إلى كل تشكيل للفكر شفوياً كان أم مكتوباً"⁽¹³⁾. وعلى هذا الأساس فإنّ مصطلح الخطاب في الأدبيات الغربية لم يكن متداولاً بمعناه الحالي كما كان عليه الحال في الثقافة العربية التي ارتبط الخطاب فيها بالنص القرآني، وأصبح يُطلق لفظ الخطاب على التّصّ القرآني، أمّا في الحضارة الغربية القديمة فقد كانت تستعمل مكانه لفظة الخطابة التي كانت شائعة في الحضارتين اليونانية والرومانية القديمتين، وكانت تستعمل الخطابة في المحاكم للدفاع عن المتهمين، كما كانت تُستعمل في الحروب لحث أفراد الجيش على الدفاع عن أركان الدولة.

بداية التحليل العلمي لمصطلح الخطاب:

لم تتبلور ملامح التفكير العلمي لتحليل الخطاب إلا في النصف الثاني من القرن العشرين مع ميشيل فوكو وخاصة بعد صدور كتابه "أركيولوجيا المعرفة" سنة 1969، و"نظام الخطاب" سنة 1971، وبدراستين الأولى إجابة عن سؤال طُرح عليه من قبل مجلة: Esprit، عام 1968 والثانية كانت إجابة أيضاً عن سؤال طرحته عليه الحلقة الإستمولوجية ونشر في مجلة: Cahiers pour l'analyse، سنة 1968، وبمحاضرة حول مفهوم المؤلف ألقاها في الجمعية الفرنسية للفلسفة، عام 1969، بالإضافة إلى مجموعة من الحوارات التي نشرت ضمن مجموع أعماله التي نشرت بعد وفاته بعنوان: "أقوال وكتابات" 1954-1988"⁽¹⁴⁾.

هكذا إذن نجد أنّ ميشيل فوكو قد أرسى الدعائم الأولى للتحليل المنهجي والعلمي للخطاب وفق منظور اللسانيات الحديثة، ذلك أنّه حاول أن يُدمج في تحليله للخطاب لنظرية تجمع بين البنيوية والإستمولوجيا، وهو بهذا حاول تطبيق المناهج الحديثة في تحليله للخطاب، وقد تحوّل مفهوم الخطاب في اللسانيات الحديثة من أداة للتواصل غرضها التأثير في الآخرين، إلى كونه عبارة عن ملفوظات يستعمل من خلالها المتكلم أو الكاتب اللغة في الكلام بالمعنى الذي حدّده دي سوسير.

تقول سارة ميلز نقلاً عن مكدونل: "الحوار هو الحالة الأولية للخطاب، أم الكلام والكتابة فاجتماعيان"، وتقول أيضاً: "تتباين صور الخطاب بتباين المؤسسات والممارسات الاجتماعية التي تُصاغ فيها وتبناين مواقف المتكلمين والمخاطبين"⁽¹⁵⁾.

وبالتالي يكون مفهوم الخطاب قد انتقل من مفهوم الخطابة كما عرفها اليونانيون والرومان وحتى العرب القدامى بكونها مكوّنة من ثلاثة أنواع: مشورية ومشاجرية ومنافرية إلى كونها مجموعة من العبارات التي يشترك فيها الأفراد والمؤسسات، وبالتالي فالمؤسسات والسياق الاجتماعي لهم دور مهم في تطور مفهوم الخطاب، وتطور لغته، وهو ما

يطرح مسألة العلاقة بين اللغة والمجتمع، إذ أصبح الخطاب هو ذلك الحوار الذي يدور بين المتخاطبين، ونسق العلاقات المكوّنة للخطاب ومنهج الخطاب وسلطته. وفي هذا الشأن يقول محمد يونس علي: "لقد تطور مفهوم تحليل الخطاب تطوراً سريعاً، وأخذ ذلك أشكالاً مختلفة أسهم في تنوعها اختلاف خلفيات المحللين بين لسانيين ونقاد أدب، ودارسي الديانات المقارنة، وإناسيين anthropologists، وعلماء اجتماع، وعلماء النفس، فبينما اهتم هاليداي Halliday وفان ديك Van Dijk وهوي Hoey بلسانيات النص، عُرف شغلوف Schegloff وجوفمان Goffman وشرفين Schrifin باهتمامهم بتحليل المحادثة، وإن كان بول فرايس Paul Grice قد سبقها إلى ذلك بمقارنته التداولية، وتميّز بوتير Potter وويثيرال Wetherell بالعبارة بعلم النفس الخطابي وركز لاكوف Lakoff وتانن Tannen على المقارنة الإدراكية، أما لابوف Labov وتشيف Chafe فقد اختارا التحليل السردية، في حين عُرف دريدا Derrida بمنهجه التفكيكي، وفوكو Foucault وايكو Eco ولوتمان Lotman بالمنهج السيميائي"⁽¹⁶⁾.

من خلال هذا النص نلاحظ أنّ تحليل الخطاب قد تجاذبته عدّة مناهج ونظريات تبعاً لاختلاف الدارسين والباحثين الذين اهتموا بتحليل الخطاب، كما أنّ الدراسات الحديثة للخطاب قد وسّعت من النظر إلى هذا الأخير إذ لم تعد تقتصر على الخطاب المنطوق أو المكتوب، بل تجاوزت ذلك إلى دراسة العلامات غير اللغوية والسيميائية.

من تحليل الخصائص اللغوية إلى وضع استراتيجيات للخطاب:

لم يعد اهتمام اللسانيين المعنيين بتحليل الخطاب مقصوراً على مستويات التحليل والمناهج التي يجب أن يُحلَّل بها الخطاب، وإنّما اتسعت نظرهم إليه على أنّه وحدة لسانية تواصلية بين الأفراد ولهذا عمل اللسانيون على وضع ضوابط تحدّد استراتيجيات الخطاب، وهي أربع استراتيجيات كما حدّدها ابن ظافر الشهري، ولكلّ استراتيجية من هذه الاستراتيجيات خصائص تميّزها عن غيرها إلا أنّ الشهر يذكّر أنّه هناك عاملان أساسيان يؤثّران في المرسل في اختيار استراتيجية خطابه، من حيث علاقته بغيره، وهذان العاملان هما:

أولاً: "العلاقة بينه وبين المرسل إليه التي قد تتدرّج من الحميمة إلى الانعدام التام، ويسعى المرسل في هذه الحالة، إلى تعويضها من خلال إيجادها بالخطاب.

ثانياً: السلطة، فقد يمتلكها أحد طرفي الخطاب على الطرف الآخر، وعندما يعلو الآخر درجة، وقد لا يمتلكها أيّ منها عندما تتساوى درجاتها، أو عندما لا تربطها أيّة علاقة"⁽¹⁷⁾.

ويبني تحديد استراتيجية الخطاب اجتماعياً حسب ابن ظافر الشهري على هذين العاملين عموماً، وقد أرجع مرّد هذا التصنيف إلى (ليتس) في تحديده للعلاقات بين الناس إلى صنفين: الصنف العمودي ومحوره السلطة باعتبارها أعلى هيئة في المجتمع، والصنف الأفقي الذي يتحدّد على أساسه ما يُسمّيه (براون وجيلمان) معيار التضامنية كبعد اجتماعي، على اعتبار أنّ أفراد هذا الصنف متساوون إلى حدّ بعيد في الدرجات⁽¹⁸⁾.

تعريف الاستراتيجية:

أخذ مصطلح الاستراتيجية من المعجم العسكري ثمّ توسّع استعماله إلى مجالات أخرى متعدّدة مثل السياسة والاقتصاد وتحليل الخطاب وغيرها، يُعرّف كلٌّ من باتريك شارودو ودومينيك منغونو الاستراتيجية بقولها: "جاء لفظ استراتيجية من فن قيادة عمليات جيش في ميدان القتال (وهو يقابل إذ ذاك tactique خطة) إلى حد أنها آلت إلى تعيين جزء من الفنون العسكرية وأمكن لها أن تكون موضوع تعليم (دروس الاستراتيجية في المدرسة الحربية)، وانتهى به الأمر إلى اكتساب معنى أعم يفيد كل عمل يتم القيام به بصفة منسقة لبلوغ هدف ما، لذا يتحدث الناس عن استراتيجية انتخابية واستراتيجية تجارية واستراتيجية سياسية، وباعتبارها مفهوماً فإنه يُستعمل استعمالاً مركزياً في فنون فكرية مختلفة"⁽¹⁹⁾.

أمّا في مجال تحليل الخطاب فيرى المؤلفان أنّ الاستراتيجية تُستعمل استعمالاً وتحددات مختلفة تبعاً لاختلاف تيارات البحث واتجاهاته.

1-1 الاستراتيجية التضامنية:

يُعرّف الشهري الاستراتيجية التضامنية بقوله: "يُمكن الحدس بمفهوم الاستراتيجية التضامنية تقريباً بأنها الاستراتيجية التي يحاول المرسل أن يُجسّد بها درجة علاقته بالمرسل إليه ونوعها، وأن يعبر عن مدى احترامه لها ورغبته في المحافظة عليها، أو تطويرها بإزالة الفروق بينها، وإجمالاً هي محاولة التقرب من المرسل إليه وتقريبه"⁽²⁰⁾. وفي هذه الاستراتيجية إذا كانت العلاقة بسيطة بين طرفي الخطاب، أو لا يوجد بينهما أي نوع من أنواع العلاقات، فإن المرسل يسعى إلى تأسيسها من خلال تلقّظ بالخطاب، بأن يتقرب من المرسل إليه وأستلته، مما يجعل المرسل إليه يثق بأن المرسل ليس له أي أغراض منفعية أو مصالح خاصّة، وهذا هو عين التأدّب في الخطاب، وهذا يجعل كل واحد من طرفي الخطاب يعمل على تحقيق أغراض مشتركة أو متساوية بينها، وهذا يؤدي إلى تقليص الفروقات بين المتخاطبين وتقليل الدرجات بينها⁽²¹⁾. ولهذا الاستراتيجية مجموعة من العناصر التي تُسهم مجتمعة أو منفردة في اختيار الاستراتيجية التضامنية وهي:

- 1-مدى التشابه/الاختلاف الاجتماعي.
- 2-مدى تكرار الاتصال.
- 3-مدى امتداد المعرفة الشخصية.
- 4-درجة التألف، أو كيفية معرفة طرفي الخطاب لكل منهم.
- 5-مدى الشعور بتطابق المزاج أو الهدف أو التفكير.
- 6-الأثر الإيجابي/السلي"⁽²²⁾.

وهناك أصناف قد تكون متساوية اجتماعياً أو متقاربة مثل، الأساتذة والطلبة والصحفيون ورجال الشرطة وغيرهم، في حين أنّ هناك أصنافاً اجتماعية غير متساوية مثل: الطالب/الأستاذ واللاعب/المدرّب، الجندي/الضابط، المدير/الموظف، الأب/الابن...إلخ⁽²³⁾. ومن أمثلة هذا النوع من الاستراتيجيات قول ابن جامع: "...فلما صعد السرير وثبّت على قدم أمير المؤمنين أقبليها، (يقصد هارون الرشيد) فقال: ابن جامع؟ قلت: ابن جامع، جعلني الله فداك، قال: اجلس يا بنّ جامع، وجلس أمير المؤمنين وجعفر في المواضع الخالية، فقال لي: يا بنّ جامع، أبشّر وابسط أملك، فدعوت له، ثم قال لي: عَنّ يا بنّ جامع..."⁽²⁴⁾.

فرغم أنّ ابن جامع والرشيد لبا متساويين في المكانة الاجتماعية، وبينها فوارق كبيرة ولكن عند التلقّظ بالخطاب وفقاً للاستراتيجية التضامنية بدأ الرشيد (ذو السلطة والدرجة العليا) في التخلي تدريجياً عن سلطته المكتسبة، وهذا التنازل التدريجي هو تصاعد في حقيقة التضامن مع ابن جامع في الوقت نفسه، إذ استعمل الرشيد العلامات اللغوية الدالة على تنازله عن سلطته من ناحية، كما تدل، نفسها، على التضامن من ناحية أخرى، ويظهر ذلك من خلال قوله: (أبشّر ابسط، أملك)، وهذا فهو يُلَمِّح للمرسل إليه الذي هو دونه مرتبة بأن يستعمل الاستراتيجية التضامنية بدلاً من الاستراتيجية التبجيلية⁽²⁵⁾.

2-الاستراتيجية التوجيهية:

هذا النوع من الاستراتيجيات يختلف عن الاستراتيجية التضامنية، "حيث يودّ المرسل باستعمال الاستراتيجية التوجيهية أن يفرض قيماً على المرسل إليه بشكل أو بآخر، وإن كان القيد بسيطاً، أو أن يمارس فضولاً خطائياً عليه، أو أن يوجّهه لمصلحته بنفعه من جهة، وإبعاده عن الضرر من جهة أخرى، لأنّ هناك سياقات لا تناسبها الخطابات المرنة وعوامل التخلّق، لأنّ المرسل يولي عناية فيها لتبليغ قصده وتحقيق هدفه الخطائي، بإغفال جانب التأدّب التعاملي الجزئي في الخطاب"⁽²⁶⁾.

ومن أمثلة الخطابات في الاستراتيجية التوجيهية قول طالب لزميله: اعمدوا نجاح فلان، فإن المرسل إليه يتأول خطابه، ويُعدّ فعله من باب المزاح والطرفة، بل إنّ محاولة استعمال الاستراتيجية التوجيهية تُمنّ لا يمتلك السلطة قد يُسبب له عواقب وخيمة، كأن يُخاطب سائق سيارة شرطي المرور أمراً إياه أن يُنظّم حركة المرور قائلاً له: حافظ على تنظيم السير، فقد يؤديّ به هذا الخطاب إلى السجن، ولن يشفع له قصد المزاح، كما لا يلام الشرطي على معاقبته.

بينما وإعطاء سلطة الخطاب للمرسل وإضفاء المشروعية عليه، يجب أن يتضمّن الضمائر التي تُحيل على المرسل ومكانته الاجتماعية، مثل قول مسؤول ما: سأعاقب كل المخالفين، إذ ليس الفعل المنجز هو فعل التزام فقط، بقدر ما هو تهديد ووعيد لمن يخالف الأوامر، لأنّ الهدف منه هو توجيه أفعال المرؤوسين، ولذلك فتوفر السلطة للمرسل شرط ضروري عند استعمال الاستراتيجية التوجيهية، كما تُسوِّغ السلطة للمرسل استعمال بعض الآليات الخطابية، في حين تلغيا للمرسل إليه في السياق نفسه لأنه دونه سلطة⁽²⁷⁾.

وهذا النوع من الاستراتيجيات هو ما يُطلق عليه ياكوبسن الوظيفة الإفهامية أو الندائية يقول ياكوبسن: "فالنداء والأمر ينحرفان من همّة نظر تركيبية وصرفية وحتى فونولوجية في الغالب عن المقولات الاسمية والفعلية الأخرى، وتختلف جمل الأمر عن الجمل الخبرية في نقطة أساسية فالجملة الخبرية يمكنها أن تخضع لاختبار الصدق، ولا يمكن لجمل الأمر أن تخضع لذلك، فحينما يقول نانو بلهجة أمرية عنيفة، في مسرحية المنع لأونيل "اشربوا" فإن الأمر لا يمكنه أن يثير السؤال التالي: هل هو صادق أو غير صادق"⁽²⁸⁾.

3-1 الاستراتيجية التلميحية:

قد يعدل المرسل عن استعمال الاستراتيجية المباشرة في الخطاب إلى استعمال استراتيجية تُسمّى الاستراتيجية التلميحية، إذ قد يُلمّح بخطابه سواء بالقبول أو الرفض، ولكن دون أن يُصرّح بذلك مباشرة، بل يُلمّح عن قصده من خلال الخطاب المناسب للسياق، ومن أمثله الخطاب التالي:

أهل تتكرم بأقراضى عشرة آلاف ريال؟

ب- قالوا قديما: احفظ قرشك الأبيض ليومك الأسود.

يُمثّل هذا الخطاب حواراً بين طرفين، كلٌّ منهما مرسلٌ مرة ومرسلٌ إليه مرة أخرى، إذ يدلُّ الخطاب (أ) على قوة الخطاب الإنجازية المباشرة، ويدلُّ عليه استعمال أداة الاستفهام (هل)، إلّا أنّ القصد ليس الاستفهام، وإنّما هو الاتّمسك، ويُعدُّ توظيف الفعل (تتكرم) علامة للتأدّب من المرسل مع المرسل إليه، في حين يدلُّ استعمال المرسل في الخطاب (ب) لفظة (قالوا) قوّة الخطاب الإنجازية ويمنح خطابه أكثر من قصد، إذ لم يعد الإخبار هو القصد، إذ يختبئ وراءه قصد آخر، حيث اختار المرسل الاستراتيجية التلميحية للدلالة على الرفض أو التهمُّ⁽²⁹⁾.

4-1 الاستراتيجية الإقناعية:

يُقصد بالاستراتيجية الإقناعية في الخطاب توظيف المرسل لوسائل الإقناع في خطابه من أجل إقناع المرسل إليه للاقتناع بما يُريده منه، "لأنّ من الأهداف التي يرمي المرسل إلى تحقيقها من خلال خطابه إقناع المرسل إليه بما يراه، أي إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي لديه، ولتحقيق هذا الهدف يستعمل استراتيجية تداولية تُعرف باستراتيجية الإقناع، إذ تكتسب اسمها من هدف الخطاب... وتُستعمل استراتيجية الإقناع من أجل تحقيق أهداف المرسل النفعية، بالرغم من تفاوتها تبعاً لتفاوت مجالات الخطاب أو حقوله، فقد يستعملها التاجر لبيع بضاعته، وقد يستعملها المرشح للانتخابات من أجل إقناع الناخبين واستئثارهم إلى صفّه، وقد يستعملها الطفل مع والديه للحصول على مبتغاه"⁽³⁰⁾.

ويُعتبر هدف الإقناع هو الهدف الأساسي الذي نهضت عليه الخطابة قديماً، إذ كان هدف الخطيب هو إقناع المُخاطبين بما يُريده منهم، كما أنّ استراتيجية الإقناع متاحة للجميع وليست مقتصرة على شخص دون الآخر، إذ كلُّ شخص بإمكانه استعمالها لتحقيق هدفه من المرسل إليه وكلُّ شخص يستعمل الآليات الإقناعية التي تتناسب مع موضوع خطابه.

ومن أمثلة استعمال استراتيجية الإقناع ما جاء في كتاب استراتيجيات الخطاب للشهري في الحوار التالي:"

-سأل القاضي الشاهد وهو يستجوبه في قضية قتل: هل رأيت الطلق الناري؟

-لا، بل سمعته يا سيدي.

-هذا ليس دليلاً كافياً.

وعندئذٍ، أدار الشاهد ظهره للقاضي، وضحك ضحكة عالية، فسأله القاضي في استنكار:

-لماذا تضحك؟

فقال الشاهد: وهل رأيتني وأنا أضحك؟

قال القاضي: لا، بل سمعتك.

عندها قال الشاهد: وهذا ليس دليلاً كافياً.⁽³¹⁾

نلاحظ من خلال هذا الحوار أنّ الشاهد قد استعمل آليات إقناعية ليُتقن القاضي بصدق أقواله بناءً على سلوك القاضي، وهو ما يدفع القاضي إلى الاقتناع، وهذا يُعتبر ذكاء من الشاهد في الرّد، مستعملاً آلية إقناعية حجاجية بنفس اللغة التي استعملها القاضي، تجعل المرسل إليه يقبل شهادته دون ما حاجة إلى الإسهاب في خطابه.

خاتمة:

وكخاتمة لهذا البحث المتواضع توّصلنا إلى بعض النتائج نوجزها كالآتي:

- نال مصطلح الخطاب اهتماماً كبيراً من قبل العلماء والباحثين قديماً وحديثاً، نظراً لحضوره في مختلف مناحي الحياة. الخطاب هو مراجعة الكلام بين المتخاطبين، ويقصد به الكلام الشفهي، كما يُحيل كذلك على النص المكتوب. ارتبطت الخطابة في الحضارة اليونانية القديمة بالفلسفة، وكان هدفها التأثير في المتلقي لاستماتته وإقناعه. بدأ الاهتمام بالتحليل العلمي للخطاب في النصف الثاني من القرن العشرين، وخاصّةً مع ميشيل فوكو. تعدّدت نظريات تحليل الخطاب، فانتقلت من تحليل الكلام إلى رصد استراتيجيات للخطاب. تتغيّر لغة الخطاب من استراتيجية إلى أخرى حسب سياق الخطاب والمكانة الاجتماعية للمخاطب. من أهم استراتيجيات الخطاب، نجد استراتيجية الإقناع، لأنّ مُرسل الخطاب يرمي إلى إقناع المرسل إليه من خلال إحداث تغيير في موقفه الفكري أو العاطفي.

هوامش البحث:

- ¹ الأزهرى: تهذيب اللغة، نخ، فاطمة محمد أصلان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2001، ج7، ص: 111-112.
- ² ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، نخ، عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، دط، 1979، ج2، ص: 198-199.
- ³ هود: 37.
- ⁴ الألويسي: روح المعاني، في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، دط، ج12، ص: 50.
- ⁵ الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير): جامع البيان عن تأويل آي القرآن، نخ، محمود محمد شاكر، الناشر مكتبة ابن تيمية، القاهرة، مصر، ط2، دت، ج15، ص: 309.
- ⁶ محمد العدناني: معجم الأخطاء الشائعة، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1985، ص: 79.
- ⁷ سعيد علوش: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، وسوشيريس، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1405هـ-1985م، ص: 83.
- ⁸ طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1998، ص: 214.
- ⁹ أرسطو: الخطابة، تر، عبد الرحمن بدوي، دار الرشيد للنشر، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، دط، 1980، ص: 29.
- ¹⁰ المصدر نفسه: ص: 23.
- ¹¹ الزواوي بغورة: الخطاب، بحث في بنيته وعلاقاته عند ميشيل فوكو، دراسة ومعجم، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2015، ص: 71.
- ¹² المرجع نفسه: ص: 70.
- ¹³ عبد السلام حيمر: في سوسولوجيا الخطاب، من سوسولوجيا التمثلات إلى سوسولوجيا الفعل، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، دط، دت، ص: 14.
- ¹⁴ الزواوي بغورة: الخطاب، بحث في بنيته وعلاقاته عند ميشيل فوكو، دراسة ومعجم، ص: 67.
- ¹⁵ سارة ميلز: الخطاب، تر، عبد الوهاب علوب، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، ط1، 2016، ص: 23.
- ¹⁶ محمد محمد يونس علي: تحليل الخطاب وتجاوز المعنى، نحو بناء نظرية المسالك والغايات، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2016، ص: 5-6.
- ¹⁷ ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص: 256.
- ¹⁸ ينظر: المرجع نفسه، ص: 256.
- ¹⁹ باتريك شارودو، ودومينيك منغونو: معجم تحليل الخطاب، تر، عبد القادر المهيري، وحادي صمود، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، دط، 2008، ص: 532.
- ²⁰ ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، ص: 257.

- ²¹-ينظر: المرجع نفسه، ص: 257-258.
- ²²-المرجع نفسه: ص: 259.
- ²³-ينظر: ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص: 259-260.
- ²⁴-أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني: جمع الجواهر في الملح والنوادر، تخ، علي مُحمَّد البجاوي، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط2، دت، ص: 128.
- ²⁵-ينظر: المرجع السابق، ص: 262.
- ²⁶-المرجع نفسه: ص: 322.
- ²⁷-ينظر: ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص: 325.
- ²⁸-رومان ياكسون: قضايا الشعرية، تر، مُحمَّد الوالي، ومبارك حنوز، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1988، ص: 29.
- ²⁹-ينظر: المرجع السابق، ص: 367-368.
- ³⁰-ينظر: ابن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص: 445.
- ³¹-المرجع نفسه: ص: 455.
- مصادر ومراجع البحث:**
- القرآن الكريم.**
- 1-أرسطو: الخطابة، تر، عبد الرحمن بدوي، دار الرشيد للنشر، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، دط، 1980.
- 2-الأزهري: تهذيب اللغة، تخ، فاطمة مُحمَّد أصلان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2001، ج7.
- 3-أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني: جمع الجواهر في الملح والنوادر، تخ، علي مُحمَّد البجاوي، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط2، دت.
- 4-ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004.
- 5-ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، تخ، عبد السلام مُحمَّد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، دط، 1979، ج2.
- 6-الألويسي: روح المعاني، في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، دط، دت، ج12.
- 7-باتريك شارودو، ودومينيك منغونو: معجم تحليل الخطاب، تر، عبد القادر المهيري، وحادي صمود، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، دط، 2008.
- 8-رومان ياكسون: قضايا الشعرية، تر، مُحمَّد الوالي، ومبارك حنوز، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1988.
- 9-الزاوي بغورة: الخطاب، بحث في بنيته وعلاقاته عند ميشيل فوكو، دراسة ومعجم، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2015.
- 10-سارة ميلز: الخطاب، تر، عبد الوهاب علوب، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، ط1، 2016.
- 11-سعید علوش: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، وسوشيريس، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1985.
- 12-طبري (أبو جعفر مُحمَّد بن جرير): جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تخ، محمود مُحمَّد شاكر، الناشر مكتبة ابن تيمية، القاهرة، مصر، ط2، دت، ج15.
- 13-طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1998.
- 14-عبد السلام حمير: في سوسولوجيا الخطاب، من سوسولوجيا التمثلات إلى سوسولوجيا الفعل، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، دط، دت.
- 15-مُحمَّد العدناني: معجم الأخطاء الشائعة، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1985.
- 16-مُحمَّد يُونس علي: تحليل الخطاب وتجاوز المعنى، نحو بناء نظرية المسالك والغايات، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2016.